المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية
الدراسات العليا

شرح

سراج الدين عمر بن اسحاق الشبلي الغزنوي الهندي

٧٠٤ هـ - ٧٩٣ هـ

لكتاب
المغني في اصول الفقه للجبازي

(الجزء الأول)

" دراسة وتحقيق "

رسالة مقدمة لنيل درجة " الدكتوراة "
في الشريعة الاسلامية ، فرع الفقه و الأصول .
شعبة أصول الفقه .

اعداد :
ساتربا أسدي زين
اشراف :
الدكتور يونس سليمان السنهوري

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥م

" المجلد الأول "

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــــداء .

الى اللذيـــن غرســـا فى نفســـى حب العلم الشرعـــى ، وبذلا لـــى كـــل ما يملكـان ، تعبـــا لأستريـــح ، و نصبـــا لأسعـــــد . وكانـــا لـــى المدرســـة الأولـــــى . الى والدى السذى قـد ذهـــب الـى رحمـــة اللـــه تعالـــى فـى آخـــــر اعدادى لهـــذه الرسالـــة ، فسقى اللـــه ثـــراه . و الـى والدتـــى الكريمـــة أمـــد اللـــه فـى عمرهـا و يســـــر لهـــا الخيـــر فـى الدنيـــا و الآخـــرة .

أقـــدم هـــذه الثمـــرة الثانيـــة من ثمـــار غرسهمـــا .

ابنكمـــا المخلـــص :

ساتريا أفنـــدى زيـــــن .

شكـــر و تقديـــــر .

اعترافـــا بالفضـــل لذويه ، و بالعطاء لباذليـه ، أزجـى عظيـــم شكرى و فائـق تقديرى لشيخـى الفاضـل و أستاذى الكريـم الأستاذ الدكتـــور يونس سليمان السنهورى الذى أشرف عليّ فى إعداد هذه الرسالة ، فلـــم يدخـر جهدا و لا وقتا إلا و بذلـه لى عن سماحة نفس و رحابة صـدر و طيب خاطـــر .

و ذلل لى الصعاب التى واجهتنـى و أنار لـى عتمـة الطريق و فتح أمامـى المغاليق ، فجزاه الله عنى كل خيـــر و أمد الله فى عمره و نفع به طلاب العلـم .

كما أشكـــر القائميـن على قسم الدراسات العليا بجامعة أم القرى و المسئولين فيهـا الذين أتاحوا لـى فرصـة مواصلة الدراسـة العليا ، فلهم منى عظيـــم الشكـر . و أرجـو لهـم من الله جزيل الثواب .

كما أشكـــر كل من مد لى يد العون من زملائى و إخوتـى ، أثابهم اللـــه على جميع صنعهـم و أعاننـى على مكافأتهـم و الدعاء لهـم .

و لا أنسـى أن أشكر زوجتى الكريمـة على تضحيتهـا و صبرهـا و مساعدتهـا لـى فى سبيل اعداد هذه الرسالـة .

+

+

+

المقدمة .

بسم الله الرحمن الرحيم .

ان الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نستهديه ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيآت أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، و من يضلل فلا هادى له . و أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . و أشهد أن محمدا عبده و رسوله .

و بعد : فإن نعم الله تعالى علي كثيرة يعجز قلمى عن كتابتها و يكل لسانى عن تعدادها و شكرها ، و يقصر ذهنى عن تصورها و إدراكها .

و من أجلها و أنمها توفيقه لى بالالتحاق بقسم الدراسات العليا الشرعية فرع الفقه و الأصول (مرحلة تحضير الدكتوراة) بكلية الشريعة و الدراسات الإسلامية بمكة المكرمة .

و لما كان من واجب كل طالب بهذه المرحلة اختيار موضوع معين يقدم فيه رسالة علمية للحصول على درجة الدكتوراة و لم يكن من السهل لى الحصول على ذلك .

فقد لاقيت عناء كبيرا فى اختيار الموضوع . و ذلك لأنه ما من موضوع إلا و قد بحثه باحث قبلى ، و ما من موضوع قدمته للمجلس إلا رفضه لهذا السبب ، أو لسبب آخر .

و بعد ما يقارب السنة من تاريخ قبولى فى القسم ، اتجهت إلى اختيار مخطوط لتحقيقه ، و بدأت أبحث فهارس المكتبات عما يصلح لهذا الغرض . و بعد مدة وجدت للقاضى سراج الدين الشبلى شرحا لكتاب المغنى فى أصول الفقه للخبازى . و بعد الاطلاع عليه رغبت فى أن يكون موضوعا لرسالتى فى الدكتورة .

و قد دفعتنى أمور عدة لاختيار هذا الموضوع ، منها :

١ . ان المغنى فى أصول الفقه تحت تحقيق الدكتور مظهر بقا ، و انه على جودته لم يظهر له شرح ، فأحببت أن أساهم فى اثراء المكتبة الأصولية باخراج هذا الشرح و تحقيقه . و فى هذا إحياء الكتاب من الكتب التراثية و إخراج له من خزائن التراث إلى حيز الوجود والإفادة .

٢ - ان هذا الشرح من المصادر القديمة التى اعتمد عليها بعض الأصوليين في أصول الفقه الحنفى . كما سأذكر بعض من استشهد به و نقل شيئا من نصوصه و آراء مؤلفه .

٣ - انه من الكتب الأصولية المدللة . فقد عنى المؤلف بذكر الأدلة الراجحة و مناقشة الأدلة المرجوحة ، ولو كانت من الحنفية أنفسهم .

٤ - كما جمع فيه مؤلفه بين الأصول و المسائل الفرعية الفقهية ، مما يدل على براعة المؤلف في تخريج الفروع على الأصول .

٥ - و أهم من ذلك كله الرغبة في الاستزادة العلمية بتحقيق آراء العلماء في كل مسائل أصول الفقه .

لقد رجوت الله تعالى أن يكون عونا لى على تسهيله و مشكلته و تذليل صعابه . فشرعت بذلك مستمدا منه تعالى التوفيق و الاخلاص.

و قد جعلت عملى فى هذه الرسالة قسمين :

القسم الأول فيه مباحث :

البحث الأول : دراسة عن جلال الدين الخبازى ، صاحب المغنى ، حياته و عصره و ثقافته و علمه .

البحث الثانى : دراسة عن الشارح سراج الدين الهندى ، حياته و عصره و ثقافته و علمه .

البحث الثالث : دراسة عن المغنى فى أصول الفقه للخبازى .

البحث الرابع : دراسة عن شرح سراج الدين الهندى على المغنى فى أصول الفقه .

القسم الثانى : النص تحقيقا و تعليقا .

وإني لأرجـو أن يكون بحثي هذا اسهاما مني في هذا المجال . والله يعلم أني أردت به العمل لوجه الله تعالى خاصة ، فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمني و من الشيطان ، و حسبي الله و نعم الوكيل .

و في الختام أضرع إلى الله تعالى أن ينظر إلى ما بذلته من الجهد في هـذا السبيل بالقبول ، و أن يدخر لي منه ذخرا أجده أمامي يوم يقوم الناس لـرب العالمين ، يوم لا تغني نفس عن نفس شيئا الا من رحم الله ، و أسأله سبحانه و تعالى أن يثبتنا جميعا على الحق ، و أن يوفقنا و يختم حياتنا بالصالحات ، انه ولي التوفيـق .

ساتريا أفندي بن محمد زين .

مكة المكرمة : ١٧/٧/١٤٠٥هـ .

القسم الأول

دراسة عن الخبازي ، صاحب المغني ، والشارح سراج الدين الهندي ، وعن متن المغني في أصول الفقه وشرح سراج الدين الهندي عليه .

==========

المبحث الأول

دراسة عن جلال الدين الخبازى ، صاحب المغنى ،

حياته وعصره وثقافته وعلمه .

==========

أولا : تمهيد .

و قد تم بعون الله تعالى تحقيق كتاب المغنى فى أصول الفقه لجلال الدين الخبازى لفضيلة الدكتور محمد مظهر بقا . و تشرف بنشره مركز البحث العلمى و إحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

و لا أريد أن أكرر ما قد عقد له المحقق من الترجمة و الدراسة عن الكتاب المذكور إلا بقدر ، لا بد فيه للتعريف به و مدخل إلى الدراسة عن الكتاب الذى نقدمه ، و هو شرح سراج الدين الهندى على أصول الخبازى المذكور أعلاه .

و الله ولي التوفيق .

×××

ثانيا : اسمه ولقبه وكنيته .

وهو عمر بن محمد بن عمر الخبازى [١] الخجندى [٢] . ويلقب بجلال الدين [٣] ويكنى بأبى محمد .

---

(١) الخبازى - بفتح الخاء وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف زاى . هذه النسبة إلى الخبز : عمله أو بيعه ، عرف بها جماعة ، منهم أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن الحسن الخبازى المقرى النيسابورى .

(انظر : تعليق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمنى على كتاب " الأنساب لأبى سعيد السمعانى : ٥/ ٣٣٥ الناشر/ محمد أمين دمج ، بيروت ، لبنان .)

(٢) خجندة - بضم أوله وفتح ثانيه ونون ثم دال مهملة - فى الإقليم الرابع ، طولها اثنان وتسعون درجة ونصف .
وعرضها سبع وثلاثون درجة وسدس .
وهى بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقا .
وهى مدينة نزهة ليس بذلك الصقع أنزه منها ولا أحسن فواكه .
وفى وسطها نهر جار ، والجبل متصل بها .
وكان سلم بن زياد لما ورد خراسان ليزيد بن معاوية بن أبى سفيان أنفذ جيشا ، وهو نازل بالصغد إلى خجندة ، وفيهم أعشى همدان ، فهزموا .
وينسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم ، منهم أبو عمران موسى ابن عبد الله المؤدب الخجندى .
كان أديبا فاضلا صاحب حكم وأمثال مدونة مروية .
(معجم البلدان لياقوت : ٢/ ٣٤٨ ، طبعة دار صادر للطباعة والنشر سنة : ١٣٧٥هـ)

(٣) انظر : الفتح المبين فى طبقات الأصوليين لمصطفى المراغى : ٢/ ٧٩ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٤هـ ، الناشر/ محمد أمين دمج بيروت ، كشف الظنون لحاجى خليفة : ٢/ ١٧٤٩ طبعة دار الفكر بيروت ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ٧/ ٣١٥ ، الناشر/ دار العلم للملايين بيروت ==

ثالثا : مولده و وفاته .

ولد رحمه الله سنة ٦٢٩هـ (١) بخجندة (٢) و توفى سنة ٦٩١هـ.
فى خمس بقين من ذى الحجة منها . (٣) و دفن بمقابر الصوفية بدمشق (٤)
و له من العمر ٦٢ سنة .

== البداية و النهاية لابن كثير: ١٣/ ٣٣١ ، مطبعة السعادة مصر، الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية لابن أبى الوفاء ، عبد القادر بن أحمد : ١/ ٣٩٨ ، طبعة مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، سنة : ١٣٣٢هـ .

(١) انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ٧/ ٣١٥ ، و الأعلام لخير الدين الزركلى : ٥/ ٦٣ ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٨٠م الناشر / دار العلم للملايين بيروت .

(٢) انظر الفتح المبين : ٢/ ٧٩، معجم المؤلفين : ٧/ ٣١٥ .

(٣) انظر : شذرات الذهب لعبد الحي : ٥/ ٤١٩، الناشر / المكتب التجارى للطباعة و النشر بيروت . معجم المؤلفين : ٧/ ٣١٥ ، الجواهر المضيئة لابن أبى الوفاء : ١/ ٩٨ . تاج التراجم تأليف ابن قطلوبغا :ص ٤٧ ، مطبعة العانى بغداد سنة ١٩٦٢م، الفوائد البهية فى تراجم الحنفية تأليف : اللكنوى ص ١٥١ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٤هـ ، مطبعة السعادة مصر .
هدية العارفين تأليف اسماعيل باشا البغدادى : ٥/ ٧٨٧، طبعة دار الفكر بيروت .

و ذكر حاجى خليفة و الزركلى أنه مات سنة ٦٧١هـ .
و قال الشيخ مصطفى المراغى بعد أن ذكر ذلك :" و عليه نعول " .
انظر : كشف الظنون : ٢/ ١٧٤٩هـ .
الأعلام للزركلى : ٥/ ٦٣ ، الفتح المبين للمراغى : ٢/ ٧٩ .

(٤) انظر البداية و النهاية : ١٣/ ٣٣١

(٥) انظر المصدر نفسه و معجم المؤلفين : ٧/ ٣١٥ .

(٩)

رابعـا : رحلتـه .

تقدم أنـه ـ رحمه الله ـ ولد بخجندة .
و تعلم العلم بها ، ثم انتقـل إلى خوارزم (١) و اشتغـل بالعلم .
ثم انتقـل إلى بغداد فذاع صيتـه .
ثم قدم دمـشق ، فدرس بالعزيـة البرانيـة (٢) ، ثم حج و سكن بمكة سنـة (٣) .

---

(١) خـوارزم : أولـه بين الضمة و الفتحـة ، و الألف مسترقـة مختلسـة ، ليست بألف صحيحـة ، هكذا يتلفظـون به .
هكذا ذكره ياقوت في معجم البلدان (٢/٣٩٥ ، دار صادر بيروت للطباعة و النشر سنة ١٣٧٥هـ)
ثم قال : (قال أبـو عون في زيجـه : هي في آخر الاقليم الخامس ، و طولها إحدى و تسعـون درجة و خمسـون دقيقة و عرضها أربـع و أربعـون درجـة و عشر دقائق .
و خوارزم ليس اسما للمدينـة ، إنما هو اسم للناحية بجملتها .
فأما القصبة العظمى فقد يقال اليوم الجرجانية ...)
ثم قال ياقوت : (و ما ظننت أبدا في الدنيا بقعـة سعتهـا سعـة خوارزم و أكثـر من أهلهـا ، مع أنهـم قد مرنوا على ضيـق العيش و القناعة بالشيء اليسيـر)

(٢) انظـر البداية و النهاية لابـن كثيـر : ١٣/٣٣١ ، دار صادر للطباعة و النشـر سنـة ١٣٧٥هـ .
و المدرسـة العزيـة البرانية واقعـة في زقاق الصخر فوق الوراقة شمالـي عين القصاريـن تطـل على المرج الأخضـر .
بناها الأميـر عز الدين سنة ٦٣٦هـ الذي استنابه الملك المعظم على صرخد ، دفـن في تربتـه فوق الوراقة ، و قد درست و صـارت بستانـا .
و قد أنشأ أيضـا العزيزية في الصالحية المعروفة بالكشـك .
(انظـر منتخبات التواريخ لدمشق : ٣/٩٥٥ ، لمحمد أديب آل ـ تقي الدين الحصني ، دار الآفاق الجديدة سنة ١٣٩٩هـ)

(٣) انظـر الأعلام لخير الديـن الزركلـي ، الطبعة الخامسـة ، سنـة ١٩٨٠م ، دار العلم للملايين ، بيروت . جـ ٥ ص ٦٢

ثم رجع إلى دمشق ، فدرس بالخاتونية البرانية [١] التي على الشرف القبلي [٢] .

---

(١) انظر البداية و النهاية لابن كثير : ١٣/ ٣٣١ .

المدرسة الخاتونية البرانية : مسجد خاتون على الشرف القبلي ، هي أم شمس الملوك ، أخت الملك دقاق . و زوجة تاج الملوك بوري .
و هذه الخاتونية هي شمالي نهر بانياس ، مطلة على الميدان الأخضر ، و كانت قديما بمأذنة و منبر . و بقي ذلك إلى أوائل الدولة العثمانية .
أول من خربها و أخذ رخامها و محاريبها سيباي حاكم دمشق ، و وضع ذلك بمدرسته الكائنة بباب انجابية الملقبة بجمع الجوامع .
و هي اليوم حدائق .
(انظر منتخبات التواريخ لدمشق لمحمد أديب : ٣/ ٩٥٣)

(٢) انظر رحلته إلى هذه البلدان في : البداية و النهاية : ١٣/ ٣٣١ ، معجم المؤلفين : ٧/ ٣١٥ .

خامسا : فضله و زهده .

كان جلال الدين ، أبو محمد ، فقيها زاهدا عابدا ، منسكا عارفا بمذهب أبي حنيفة[١] و أصحابه ، جامعا للأصليين : أصول الفقه و أصول الدين ، و مصنفا فيهما[٢].

×××××

---

(١) انظر ترجمته ص : ٣٠٢ في قسم التحقيق .

(٢) انظر الفتح المبين : ٢/٧٩ و الجواهر المضية في طبقات الحنفية لابن أبي الوفاء : ١/٣٩٨

سادسا : الحالة السياسية فى عصره .

تقدم أن ذكرنا أن الخبازى قد عاش من سنة ٦٢٩هـ الى سنة ٦٩١هـ . فقد عاش معظم القرن السابع ، و قد جاء هذا القرن و العالم الإسلامى فى حالة الضعف و الاضطراب .

و من أهم ما سجله التاريخ فى هذه الفترة :

١ . سقوط بغداد على يد التتر .

فلما كانت سنة ٦٥٦هـ أغار هولاكو التترى على بغداد بمكيدة الوزير ابن العلقمى الرافضي و تدبيره ، فاستولى عليها ، و قتل الخليفة المستعصم بالله ، آخر الخلفاء العباسيين .

و بذلك انتهى حكم العباسيين فى بغداد . و تعتبر هذه الحالة من أحلك ما عانته الدولة الإسلامية فى التاريخ . (١)

و صارت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها ، كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس ، و هم فى خوف و جوع و ذلة و قلة . (٢)

و كان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء ، رابع عشر صفر . (٣)

و قد بلغ عدد القتلى فى هذه الواقعة ألف ألف و ثمانمائة ألف ، كما ذكره ابن كثير . (٤)

و صارت بغداد بعد ما تم فيها من أعمال التخريب و التدمير عاصمة لحكومة ليس لها دين سماوى ، و كانت لها قوانين وضعية وضعها جدهم جنكيزخان ، عرفت عندهم باسم الكاسة . (٥)

و يعتبر هذا التاريخ فاصلا بين التاريخ الاسلامى القديم و التاريخ الأوسط . (٦)

---

(١) انظر : البداية و النهاية لابن كثير : ٣/٢٠٠ ، الفتح المبين للمراغى : ٢/٤٤ .

(٢) انظر البداية و النهاية : ١٣/٢٠١ و ما بعدها .

(٣) انظر المصدر نفسه .

(٤) انظر المصدر نفسه .

(٥) انظر تاريخ التشريع الاسلامى للخضرى بك ، الطبعة التاسعة ، سنة ١٣٩٠هـ ، الناشر : المكتبة التجارية الكبرى مصر (ص: ٢٣٥)

(٦) انظر المصدر نفسه .

٢ ـ الاضطراب السياسي في دمشق وما حولها .

بعد أن تمت سيطرة التتر على بغداد ، عاصمة الدولة الإسلامية ، قصدوا الشام للاستيلاء عليها . فتم استيلاؤهم على حلب سنة ٦٥٨هـ.(١) وأمر هولاكو أن يمضي كل مسلم إلى داره ، وأن لا يعارض التتر . ثم أقام عماد الدين القزويني نائبا على حلب .(٢)

وأما دمشق ، فإن نائب هولاكو قدم إلى أهلها بالغرسان والأمان ، فتلقاه كبراء المدينة ، وانفذت مفاتيح دمشق إلى هولاكو .(٣)
وظل التتر يتنقلون في الشام حتى فتحوه إلى غزة .

وكان الناصر صاحب دمشق لما بلغه أخذ حلب رحل من دمشق في عسكره إلى الديار المصرية ، وفي صحبته المنصور صاحب حماة .
فلما رأى كبراء حماة تخلي المنصور عنهم توجهوا إلى حلب ، ومعهم مفاتيح بلدهم وحملوها إلى هولاكو ، وطلبوا منه الأمان ، فأمنهم .(٤)

غير أن العساكر الإسلامية بمصر الذين هربوا من التتر قد اجتمعت ، فلما انتظمت أحوالهم واستجمعوا قواهم ، عزم المظفر قطز ، مملوك المعز أيبك على الخروج إلى الشام لقتال التتر ، وسار معه صاحب حماة المنصور وأخوه الأفضل علي ، حتى التقى مع التتر في الغور ، وكان كتبغا نائب هولاكو على الشام ، فانهزم التتر هزيمة قبيحة في موقعة عين جالوت ، وقتل مقدمهم كتبغا ، واستؤسر ابنه ، وتفرقوا في الأرجاء ، ومنهم من قصد الشرق ، فأفناهم المسلمون .(٥)

---

(١) انظر خطط الشام لمحمد كرد علي ، الطبعة الثانية ،بيروت ، سنة ١٣٩٠هـ ، مطابع دار العلم (٢/١٠٤ وما بعدها)
(٢) انظر المصدر نفسه : ٢/١٠٥ وما بعدها .
(٣) انظر المصدر نفسه : ٢/١٠٦
(٤) المصدر نفسه : ٢/١٠٧
(٥) انظر المصدر نفسه : ٢/١٠٨ - ١٠٩

٣ . الاضطراب السياسي في الأندلس .

أما في بلاد الأندلس فقد كان المسلمون في غاية الضعف بسبب تفرقهم واختلافهم على الرئاسات ، مما أدى إلى استيلاء الأسبانيين على بلادهم .

فقد استولى الأسبان في القرن السابع على أكثر حصون البلاد و مدنها الشهيرة . فلم يبق للمسلمين في الأندلس سوى غرناطة و ضواحيها . (١)

هذه صورة مصغرة من الحالة السياسية في الفترة التي عاش فيها المؤلف جلال الدين الخبازي .

و في المبحث التالي جاء دور الحديث عن الحالة العلمية في عصر المؤلف .

---

(١) انظر الفتح المبين للمراغي : ٢/ ٤٤ ملخصا .

سابعا : الحالة العلمية في عصر المؤلف.

تقدم أن المؤلف عاش في فترة ما بين عام ٦٢٩هـ و عام ٦٩١هـ .
و قد قسم الشيخ محمد الخضري بيك في تقسيمه تاريخ التشريع الإسلامي إلى ستة أدوار .
و اعتبر الفترة الواقعة ابتداء من أوائل القرن الرابع الهجري الى سقوط الدولة العباسية في بغداد ، و ذلك في منتصف القرن السابع الهجري (سنة ٦٥٦هـ) دورا تاريخيا واحدا و خصها بـ " الدور الخامس " و هو دور القيام على المذاهب و تأييدها و شيوع المناظرة و الجدل . (١)
و اعتبر الفترة الواقعة ابتداء من سقوط بغداد على يد هولاكو (سنة ٦٥٦هـ) إلى الآن دورا تارخيا واحدا ، و هو دور التقليد المحض. (٢)
لقد عاش المصنف في أواخر الدور الخامس و أوائل الدور السادس (سنة ٦٢٩هـ - سنة ٦٩١هـ)
و قد وصف محمد الخضري بك النشاط العلمي في الدور الخامس الذي عاش المصنف في جزء منه بعد أن تعرض لتدهور الحالة السياسية فيه حيث قال :
(أما الحالة العلمية فإنها لم تتبع في التدهور بل استمرت على نموها ، و لا سيما في عهد السلجوقيين بالمشرق و عهد الدولة الفاطمية بمصر ، فقد نبغ فيها كبار العلماء و أساطين المفكرين ... إلا أنه مما يجب الاعتراف به أن روح الاستقلال في التشريع ضعفت تبعا لضعف الاستقلال السياسي .) (٣)
هذا بالنسبة للفقه و علومه .
و أما بالنسبة للحركة العلمية و الثقافية عموما فقد خص الدكتور حسن ابراهيم حسن في كتابه (تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي) الجزء الرابع لدراسة هذه الفترة التاريخية الواقعة بين سنة ٤٤٧هـ و سنة ٦٥٦هـ حيث تعرض المؤلف للحالة العلمية و الثقافية بصورة وافية بقوله :
(كان من أثر كثير من الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية أن نشطت الحركة -

---

(١) انظر تاريخ التشريع الاسلامي ص: ٢٣٣
(٢) انظر المصدر نفسه : ص ٢٦٥
(٣) انظر المصدر نفسه ص : ٢٣٥

الفكرية و راجت الثقافة و ذخر بلاط هذه الدول بالعلماء و الشعراء و الأدباء و غيرهم . و من ثم نرى صدى هذه النهضة في بلاط كل من الغزنويين في الشرق و الفاطميين و الأيوبيين في مصر ، و الأمويين في الأندلس ، و المرابطين و الموحدين في المغرب . أضف إلى ذلك ظهور كثير من الفرق التي اتخذت الثقافة و العلم وسيلة لتحقيق أغراضها السياسية .

و خير مثال لذلك هذه الآثار التي خلفها العلماء من السنيين و الشيعيين و ما كان لها من أثر في النهضة العلمية التي يتميز بها هذا العصر ...)[١]

هذا بالنسبة إلى الدور الخامس الذي عاش المصنف في أواخره . (ينتهي هذا العهد بانتهاء الدولة العباسية في بغداد[٢] (سنة ٦٥٦هـ) .)

و أما الحركة العلمية في الدور السادس (من سقوط بغداد على يد هولاكو (سنة ٦٥٦هـ الى الآن)[٣] الذي عاش المصنف في أوائله كما قلنا سابقا ، فقد وصفها محمد الخضري بقوله : (لم يكن من الواضح أن أكتب شيئا في هذا الدور (يعني الدور السادس) لأن رياح الاجتهاد فيه قد ركدت و ليس فيه من المزايا ما يملى على الكاتب و ينطق القائل .

إذا اتسع مجال القول في الدور الأول حيث يوحي الله شرائعه على قلب رسول الله (ص) و هو يبلغ ما أنزل الله و يبينه للناس .

و في الدورين الثاني و الثالث حيث يبين الصحابة و التابعون طرق الاستنباط من كتاب الله و سنة رسوله ، و الرأي صحيح .

و في الدور الرابع حيث يقوم كبار الأئمة و نوابغ الفقهاء ، فيجنون تلك الثمرة و يدونون أحكام الشريعة مفصلة . و في الدور الخامس حيث كان الترتيب و التهذيب و الاختيار و الترجيح . فما ذا عسى أن يقول القائل في هذا الدور الأخير ، و لا شيء له من الامتياز .)[٤]

---

(١) تاريخ الاسلام السياسي للدكتور حسن ابراهيم حسن . الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧م ، مطبعة السنة المحمدية (٤/ ٤٢٠)
و انظر أيضا : الفكر الأصولي لفضيلة الدكتور عبد الوهاب ابراهيم أبو سليمان ص : ١٦٦

(٢) انظر تاريخ التشريع الاسلامي للخضري بك ص٦ و ص ٢٣٣

(٣) انظر المصدر نفسه ص : ٢٦٥

(٤) انظر المصدر نفسه ص : ٢٦٦

ثم فصل محمد الخضرى ما بين النصف الأول من هذا الدور و هو العهد الذى حلت فيه القاهرة محل بغداد ، و صارت مقرا للمملكة الإسلامية و للخلافة العباسية ، و بين النصف الثانى منه ، و هو من أوائل القرن العاشر إلى الآن .

ففى النصف الأول منه كان ينبغ من آن لآخر من يصلون إلى رتبة الاجتهاد ، لكنهم مع ذلك واقفون عند الانتساب إلى الأئمة المعروفين . (١)

فنجد فى ذلك العهد عددا كبيرا من الرجال الأعلام ، و على رأس الجميع الشيخ ابن عبد السلام . (٢)

هذا ما يتعلق بالدور الخامس و الدور السادس بشكل عام .

و أما بالنسبة للقرن السابع خاصة ، و هو الفترة التى عاش فيها المؤلف - فقد عبر صاحب الفتح المبين عن الحال العلمية فيه بعد أن تعرض للحال السياسية فيه بقوله : (كل هذه الاضطرابات جعلت سوق العلم راكدة فى هذا القرن ، فقد قعدت الهمم عن الاجتهاد و مالت الى التقليد .

و بدأ عهد جديد فى التأليف و هو عهد المتون و المختصرات مما دفع العلماء إلى العناية بشرحها .) (٣)

---

(١) انظر المصدر نفسه ص : ٢٦٧ بتصرف .

(٢) و هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمى الدمشقى الشافعى الملقب بعز الدين المعروف بسلطان العلماء ، شيخ الاسلام و المسلمين ، امام عصره بلا مدافع ، و فريد زمانه بلا منازع.
ولد سنة ٥٧٧هـ بدمشق ، و نشأ بها و تفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر ، و قرأ الأصول على الشيخ سيف الدين الآمدى و غيره .
له مصنفات منها : الفوائد و العناية فى اختصار النهاية . و القواعد الكبرى و القواعد الصغرى و غيرها . توفى سنة ٦٦٠هـ بالقاهرة.
(الفتح المبين : ٢/ ٧٣)

(٣) المصدر نفسه : ٢/ ٤٤ .